# الاستيطان الأوربي في الجزائر وانعكاساته الاجتماعية والثقافية 1830/1962

# European Colonialism in Algeria and its Social and Cultural Implications 1830/1962

صص 121-148

**د. بلعربي نور الدين**
**كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،**
**جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة**
n.belaribi@univ-dbkm.dz

تاريخ الإرسال 15-06-2019 تاريخ القبول: 21-09-2019

**الملخص :**

كان توسع حركة الاستيطان الأوروبي في الجزائر من أكبر العوامل التي ساهمت في إحداث اختلالات سيئة في المجتمع الجزائري، وذلك بوجود عدة أسباب ساعدت على تشجيع هذه الحركة، ومنها ترسانة القوانين التي أصدرتها فرنسا بحق الجزائر في إطار المصادرة والتمليك، وما نتج عنها من تهجير مكثف للأوروبيين نحو الجزائر حيث تشير الكثير من المصادر أن هؤلاء المهاجرين كانوا أناس غير مرغوب فيهم في المجتمعات الأوروبية ومنهم من هم أصول يهودية خاصة بعد أن أعطي لهم حق الجنسية الفرنسية علما أن الجزائري المسلم لا يقبل هكذا قوانين تفضل تلك الطائفة عن الجزائري الأصيل في وطنه. وأمام هذه الموجات من الهجرة ومن مختلف الجنسيات أصدرت فرنسا ترسانة من القوانين، والتي لا أساس لها من الشرعية سوى شرعية المغتصب على الضعيف، إنها "قوانين المصادرة والتمليك" والتي سلبت

الجزائريين مصادر قوتهم ورزقهم كل ذلك في إطار سياسة التجويع. ولتنشيط هذه الحركة لعبت الصحافة دورا كبيرا في تشجيع الهجرة والدعاية لها واصفة خيرات وثروات الجزائر بالجنة الموعودة وسارت على هذا الخط الكنيسة إذ اعتبرت ذلك عملا مقدسا ترعاه البابوية.

**الكلمات المفتاحية:** الاستيطان، الانعكاسات، الجزائر، الاقتصاد،

***ABSTRACT*** **:**

The expansion of the European settlement movement in Algeria was one of the biggest factors that contributed to the creation of bad imbalances in Algerian society. There were several reasons that helped to encourage this movement, including the arsenal of laws issued by France in the context of expropriation and ownership, To the Europeans towards Algeria, where many sources indicate that these immigrants were undesirable people in European societies, including those of Jewish origin, especially after they were given the right to French nationality, knowing that the Algerian Muslim does not accept such laws prefer that community for the original Algerian in his homeland. Faced with these waves of immigration and various nationalities, France has issued an arsenal of laws, Which have no basis of legitimacy except the legitimacy of the usurper on the weak, it is the laws of confiscation and ownership, which robbed Algerians of their sources of livelihood and livelihood all in the framework of the policy of starvation. In order to activate this movement, the press played a major role in encouraging migration and propaganda, describing the richness and wealth of Algeria in the promised paradise. The church took this line as a sacred work sponsored by the papacy.

***Keywords:*** Colonialism; Implications; Algeria.

**- مقدمة:**

تعرضت الجزائر لاستعمار عسكري استيطاني شجع الأوربيين على اختلاف أجناسهم على الهجرة نحو الجزائر مكررين بذلك تجربة الهجرة الأوربية نحو العالم الجديد منكرين وجود أمة اسمها الجزائر. وكان معظم هؤلاء من الفئة الغير مرغوب فيها في أوروبا، مشجعين من قبل النظام الاستعماري الفرنسي الذي اجتهد في خلق جو قانوني جعل من الوافد الجديد سيدا وحولت الجزائري إلى إنسان مستعبد.

فإلى أي مدى ساهم هؤلاء في تفكيك البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري؟ وما هي الانعكاسات الاجتماعية والاقتصادية التي خلفتها الفئة الدخيلة على الأمة؟ وما هي الانعكاسات الثقافية والدينية التي ضربت بذيولها جسد هذه الأمة وإلى أي مدى بقيت أثارها حتى بعد طرد المغتصب؟.

**2- مراحل حركة الاستيطان الأوربي في الجزائر:**

كانت حركة الاستيطان قد بدأت بدفعات من المغامرين والباحثين عن الشهرة والربح السريع، زيادة على عدد كبير من البطالين والطامعين، الذين ذاقت بهم السبل في أوروبا حتى أصبحت الجزائر سلة للمهملات البشرية الأوروبية... وفي نهاية القرن التاسع عشر تواصل تدفق المستوطنين: إنه عهد الحكم المدني في الجزائر الذي يعتبر من أسوأ عهود الإدارة الاستعمارية في الجزائر. وكان هدف الإدارة الاستعمارية تغليب العنصر الأوروبي وبخاصة في الأرياف والمناطق الزراعية جيدة التربة، وفي المدن حيث ارتفعت نسبتهم فيها من 4،71 % سنة 1906 إلى 65.6 % سنة 1926[1]، وبذلك ظهر في الجزائر مجتمع أوروبي جديد ودخيل وغريب في عادته وأسلوب حياته وأخلاقه أو ما يصطلح عليه بـ "الأقدام السوداء"[2] عمل الاستعمار الفرنسي على

[1]- عبد الحميد زوزو : تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، د م ج ، بن عكنون الجزائر ، 1997، ص72.

[2]- الأقدام السوداء (Pieds Noirs) : تسمية تطلق على المستوطنين الأوروبيين الذين سكنوا أو وُلدوا في المغرب العربي عمومًا وفي الجزائر خصوصا إبان الاستعمار الفرنسي للمنطقة ما بين 1832-1962.

إيجاد شعب بديل بالجزائر من خلال تشجيعه لحركة الاستيطان بعد مصادرة الأراضي التي سهلت عملية إقامة القرى الجديدة في شكل مستوطنات ساعدت على استغلال واستثمار الأرض بما يخدم المصلحة الفرنسية والمستوطنين. أما الشعب الجزائري، فقد أخضعته لمجموعة من القوانين الاستثنائية شديدة القسوة والاضطهاد اصطلح عليها ب (*قانون الأهالي*)[1]، و تجريده من مقومات الشخصية وأرزاقه وممتلكاته، وذلك بهدف تضييع الهوية الجزائرية لأن الجزائر أصبحت قطعة أرض فرنسية حسب مزاعمهم وتجريده من كافة الحقوق التي يتمتع بها المواطن الفرنسي لأن القوانين التي صدرت في حقه لا تسمح له بحق المواطنة.

ومن الأحداث التي زادت في حدة تدفق الأوربيين نحو الجزائر هزيمة فرنسا أمام ألمانيا في حرب 1870، وهكذا أصبح الأوروبيون الوافدين على الجزائر يتمتعون فيها بحق المواطنة الفرنسية، وأدمجت معهم ثلة من اليهود المتجنسين وفقا لقرار كريميو 1870م[2]، ومعهم مجموعة لا تتجاوز 25000 جزائري من الذين تبرعت عليهم بحق التصويت، لأنهم متعلمون أو متعاونون مع أجهزة الاحتلال و أطلقت عليهم صفة النخبة. وهكذا مهدت تلك القوانين طيلة ربع قرن على جعل الجزائر في يد المعمرين الذين عملوا على فرنسة الجزائر أرضا وتشريعا وثقافة لمحو جميع المعالم المميزة لهذه الأمة وخلق جمهورية فرنسية مصغرة لهؤلاء المعمرين الذين أوغلوا في القسوة والإبادة ولإرغام الأهالي على الهجرة الجماعية، إنها الرغبة في القضاء على البنية الاجتماعية للأمة الجزائرية. وقد مرت حركة الاستيطان في الجزائر بمرحلتين.

---

[1]- قانون الأهالي: صدر في سنة 1871 لتكريس التفرقة بين الجزائريين والفرنسيين وكان عبارة عن إجراءات زجرية ردعية سلطت على الجزائريين "الأهالي" خول هذا القانون للإدارة الفرنسية الاستعمارية صلاحيات استثنائية قائمة على الظلم والقهر والإرهاب .

[2]- قانون كريميو :décret Crémieux الصادر بتاريخ 24/10/ 1870 والقاضي بتجنيس يهود الجزائر جملة من غير منحهم أي خيار مع إعطائهم امتيازات واسعة. راجع سعد الله: الحركة الوطنية ج 2 1900/1930، ش و ن ت، الجزائر، ط3، ص 24.

**1-2 المرحلة الأولى – مرحلة الاحتلال الضيق(1830 و1835):**

انحصر الاستيطان تقريبا في المناطق الشمالية لكن تخوف فرنسا من تنامي قوة الأمير عبد القادر[1] وإجبارها على الاعتراف بحدود نفوذه جعلها تعيد النظر في سياستها الاستيطانية من خلال المباشرة في الاحتلال الشامل والذي ساعد بشكل كبير على انتشار حركة الاستيطان في باقي المناطق الأخرى إلى جانب الدعم المادي والمعنوي الذي لقيه المستوطنون الأوروبيون من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي، التي راحت تسن القوانين لصالح الحركة الاستيطانية[2]، كما أصدرت دليل الكولون الجدد في الجزائر تضمن جميع التسهيلات والتطمينات والإجراءات الكفيلة بتلك الفئة[3] وهذا ما شجعهم على جعل الجزائر مستوطنة فرنسية لكنها مستقلة عن فرنسا، خاصة وأنه كان من بين المستوطنين الشخصيات السياسية المعارضة للأنظمة الملكية المتعاقبة على حكم فرنسا.

اختصرت الهجرة عند بداياتها على المستوطنين من جنود الحملة العسكرية على الجزائر، ومن الشخصيات التي عارضت حكم الملك شارل العاشر[4] وكانت بداية الاستيطان العسكري باغتصاب 1000هكتار تابعة لحوش حسن باشا بنواحي

---

[1]- الأمير عبد القادر: ولد بتاريخ 23رجب 1222هـ/1808م بمعسكر تربى في بيت علم وجاه كان والده شيخا للزاوية تنتمي للطريقة القادرية، بويع في نوفمبر على إمارة الجهاد 1832 بعد أن رفض والده محي. توقف عن مقاتلة الفرنسيين بتاريخ 27ديسمبر 1847 وأودع السجن مع أهله بعد أن نكثت حكومة لويس فيليب بعهودها، أطلق سراحه في عهد نابليون الثالث وكانت وجهته دمشق حيث أصبح يتمتع بسمعة طيبة محليا ودوليا. توفي هناك سنة1883. للمزيد أنظر: الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام ، ج3 ط1 ، د. م. ج. الجزائر 1982 . ص8 وما بعدها.

[2]- للاطلاع على تلك القوانين أنظر زوزو ، مرجع سابق ص 72 وما بعدها.

[3]- للمزيد عد إلى بن داهة عدة : الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830/1962 ج1، وزارة المجاهدين الذكرى 45 للاستقلال ، 2008، ص ص 138-139.

[4]- شارل العاشر:1757-1836 ملك فرنسا 1824-1830 شقيق لويس 16 خلف أخاه لويس 18 رغم نجاح الحملة على الجزائر 1830 اندلعت ثورة تموز وأجبرته على التخلي فتنازل لحفيده لويس فيليب. أنظر المنجد في اللغة والأعلام :ط 30، دار المشرق، بيروت ، لبنان، 1988. ص 326.

الحراش [1] ،وأعطيت إلى مجموعة من جنود الحاكم العام كلوزيل [2] لتسييرها، وقد أطلق عليها اسم المزرعة النموذجية الإفريقية. وقد كان كلوزيل من دعاة الاستيطان الأوائل وكان يفكر في أن يجعل من الجزائر، سان دومينغ جديدة وأن يحول رؤوس الأموال الأوربية المتجهة إلى القارة الأمريكية نحو الجزائر. ولهذا أصدر قرار 21 سبتمبر 1830 الذي يبيح مصادرة أملاك الوقف وأملاك البايليك، قصد توزيعها على الوافدين الأوربيين. وفي 9 أوت 1835 خاطب الأوربيين الذين وصلوا مدينة الجزائر قائلا: " يجب أن تعلموا أيضا أن هذه القوة العسكرية التي هي تحت إمرتي ما هي الا وسيلة ثانوية، ذلك أنه لا يمكن أن نغرس العروق هنا إلا بواسطة الهجرة الأوربية فقط "[3].

كانت أولى المحاولات في ميدان الاستيطان الرسمي المدعم من قبل النظام العسكري ، تعود إلى سنة 1832 حيث وصلت إلى ميناء الجزائر سفينة تحمل على متنها 400 مهاجر ألماني وسويسري وزعت عليها قطعا من الأراضي بلغت مساحتها الإجمالية 320 هكتارا". وبدأ الاستيطان يترسخ ويتوسع بعد صدور قرار 22 جويلية الذي أعلن المناطق التي سيطرت عليها القوات الفرنسية أملاكا فرنسية. إذ شجعت هذه التعليمة الأوروبيين على الابتعاد عن ضواحي مدينة الجزائر.

**2-2 المرحلة الثانية :الاحتلال الشامل(1835-1962):**

---

[1]- الحراش: قرية صغيرة شرق مدينة الجزائر عل ضفة وادي الحراش فيها وقعت مذبحة العوفية ليلة6-7ابريل 1832حينما حاصرت قوات تتألف من مسلحين تحت قيادة فودونيس أفراد القبيلة وهم نائمون بالقرب من برج القنطرة حيث قتل كل حي وبدون تمييز بين الأعمار ولا الأجناس وبعد هذه العملية الشنيعة رجع فرساننا وهم يحملون على الرماح الرؤوس... ويقال إن إحدى الجماجم قد أكلت في احتفال فضيع. للمزيد أنظر جيلالي صاري: إبادة قبيلة العواقبة، مجلة الثقافة، السنة 13، عدد 77، 1983، ص126، وما بعدها.

[2]- كلوزيل: ( Maréchal Clauzel ) ( 1772 – 1842 ): ماريشال فرنسي تولى قيادة جيش إفريقيا في الجزائر ثم حاكما عام للجزائر فاستولى على معسكر سنة 1835. يراجع أديب حرب :التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر( 1808 – 1874)، ج2 ط2 ، دار الرائد للكتاب الجزائر 2004م ، ص203 .

[3]- عدة بن داهة: الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر1830-1962ج1، منشورات وزارة المجاهدين، 2008. ص108.

افتتح المارشال كلوزيل عهد الاحتلال الشامل مخاطبا المعمرين بمناسبة تعيينه واليا عاما في 10أوت 1835 قائلا: " لكم أن تؤسسوا من المزارع ما تشاءون، ولكم أن تستولوا عليها في المناطق التي نحتلها وكونوا على يقين بأننا سنحميكم بكل ما نملك من قوة وبالصبر والمثابرة سوف يعيش هنا شعب جديد، وسوف يكبر ويزيد بأسرع مما كبر وزاد الشعب الذي عبر المحيط الأطلسي واستقر في أمريكا من بضعة قرون".

أقيمت أول مستوطنة في مدينة بوفاريك [1] سنة 1836، وزعت على القادمين إليها 563 قطعة أرضية مساحة الواحدة منها ثلث الهكتار، كما وزعت 173 قطعة أخرى بلغت مساحة الواحدة منها 4 هكتارا، في الأحواش المجاورة. وانتقلت الإدارة الاستعمارية إلى إجراء آخر لتحريك وتيرة التوسع الاستيطاني، وذلك بتشجيع الاستيطان الحر من خلال بيع أراضي الدومين التي تكونت من أراضي البايليك والوقف المصادرة، بهذا الأسلوب حصل بعض المهاجرين على أكثر من 4500هكتارا خلال السنة فقط [2].

وقد شهد الاستيطان تطورا كبيرا، بمجيء الجنرال بيجو الذي صرح في يوم 14ماي 1840 أمام النواب " يجب أن يقيم المستوطنون في كل مكان توجد فيه المياه الصالحة والأراضي الخصبة، دون الاستفسار عن أصحابها" ومن هنا أخذ يشجع العسكريين الذين أنهوا خدمتهم على الاستقرار في الجزائر، وأنشأ المستوطنات كي يعملوا فيها بصفة جماعية. كما أنشأ المزارع حول المعسكرات يستغلها الجنود. وكان أهم شيء نجح فيه الجنرال بيجو هو استخدام الجيش في بناء المستوطنات وفي استصلاح الأراضي وغرس الأشجار في انتظار وصول المستوطنين. وقد اشتدت الهجرة الأوروبية نحو الجزائر في عهده، ففي سنة 1843 وحدها وصل إلى الموانئ الجزائرية 14137 مهاجرا، منهم أكثر من 12006 من الفرنسيين والباقي من الألمان والايرلنديين والسويسريين. وبلغ عدد

[1] - بوفاريك: مدينة جزائرية في ولاية الجزائر بسهل متيجا، 110.000 ن سوق ريفية ، ماشية ،كرمة و حمضيات. المنجد، مرجع سابق ص 148.

[2] - أندري برليان، أندري نوشي، ايف لاكست : الجزائر بين الماضي والحاضر ، ترجمة اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، الجزائر ، د م ج، 1984، ص 333.

المستوطنات سنة 1844 فقط 28 مستوطنة في المتيجة[1] والساحل. وفي سنة 1845 وصل إلى الجزائر حوالي 46 ألف مهاجرا [2]، الشيء الذي كان وراء توسع الاستيطان نحو الغرب والشرق ولتسهيل عملية الهجرة والاستيطان قامت فرنسا بتقديم الدعم والتسهيلات لهؤلاء المعمرين .

**3- إجراءات الاستعمار في دعم حركة الاستيطان:**

لقد كان الدعم المعنوي لحركة الاستيطان ظاهرا في خطابات كل الحكام الذين تداولوا على السلطة والحكم على الجزائر، سواء العسكريون منهم أو المدنيون، ومن هذا المنطلق فإن تشجيع الأوروبيين على التوجه إلى الجزائر وتعميرها كان ضروريا للسلطة المحتلة، لذا راحت توفر لهم كل الشروط الضرورية للاستيطان على حساب أصحاب الأرض، ومن هذه الشروط توفير السكن وضمان رواتب تفوق رواتبهم في باريس، وهذا ما يسمح لهم من التفوق عدديا على أصحاب الأرض، كذلك ضمان الحماية العسكرية لهم، وبذلك بدأت حركة الاستيطان تشهد توسعا أكثر، حيث شمل كل الأوروبيين فقامت فرنسا بعملية نقلهم من أوطانهم إلى الجزائر على متن سفنها، ومنحهم فرص النجاح في الأراضي الجديدة.

أصبحت ظاهرة الاستيطان أمرا واقعا في عهد الجنرال بيجو حيث ارتفع عددهم إلى 100ألف مهاجر أي بزيادة 42 في المائة عما كان عليه سنة 1839، موزعي

[1]- المتيجة: سهل منخفض واسع في الجزائر جنوبي العاصمة، تفصله عن البحر تلال ساحل الجزائر وتحيط به جبال مليانة والأطلس والقبائل، طوله 100 كم وعرضه 20 كم. من مدنه البليدة و بوفاريك . كرمة وتبغ، وأهم منتج للحمضيات في البلاد. المنجد، مرجع سابق، ص 520.

[2]- الحكم العسكري استمر من الفترة 1830 إلى 1870 أما الحكم المدني فقد أعلن عنه بعد سقوط الإمبراطورية على يد البروسيين على إثر الحرب السبعينية واستمر الى غاية الاستقلال ويعتبر من أسوا العهود في الجزائر إذ عرفت طائلة من القوانين الزجرية والتعسفية والمصادرة لكل حقوق الجزائريين إنه من أسوء العهود الاستعمارية في الجزائر تحت حكم الإدارة الفرنسية.

حسب الجنسيات كما يلي: حوالي 43.5 في المائة فرنسيون، 28 % وأسبان، 8 % وطليان والباقي من جنسيات مختلفة. وما بين 1848 و1850[1] تم إنشاء 42 قرية خاصة بالمستوطنين طبقا للقوانين الخاصة بعملية الاستيطان منها قرية مارنغو (حجوط) والعفرون وسان كلو وقالمة وسماند وكاستيليون ومتيجة وكان تركزهم حيث أجود الأراضي ووفرة المياه. لتفعيل هذا الجانب جاء دور الشركات التي تأسست لهذا الغرض حيث أوكلت لها مهمة إنشاء القرى والمستوطنات ومن أبرزها الشركة الجزائرية التي تأسست عام 1868 وتحصلت على 100 ألف هكتار من الأراضي، وقد قامت هذه الشركة بتقديم تسهيلات للمستوطنين في الحصول على قطع من الأراضي مقابل دفع فرنك واحد لكل هكتار ولمدة 50 سنة[2]. وتدعم الاستيطان بإصدار سلسلة من القوانين والقرارات خولت للمعمرين الاستيلاء بطرق مختلفة على أجود الأراضي وأخصبها بداية بقانون 1845 الذي صادر أملاك القبائل التي أعلنت عصيانها ضد الفرنسيين[3].

[1]- عبد اللطيف بن اشنهو: تكوين التخلف في ا لجزائر، الجزائر 1979، ترجمة نخبة من الأساتذة، ص ص ، 88، 90 .
[2]- Louis de Baudicour, histoire de la colonisation de l'Algérie (paris : challamel, 1860p .18.
[3]- صلاح العقاد: المغرب العربي، القاهرة، 1980، ص ص 139-138.

## 4- تطور ظاهرة الاستيطان في الجزائر:

| السنة | عدد المستوطنين | أصل فرنسي | أصل أوروبي |
|---|---|---|---|
| 1837 | 2500 | 11000 | 14000 |
| 1847 | 109400 | 47247 | 62126 |
| 1851 | 131000 | 66000 | 65000 |
| 1857 | 181000 | 107000 | 74000 |
| 1857 | 181000 | 107000 | 74000 |
| 1870 | 250000 | 129610 | 12000 |
| 1881 | 344601 | 129601 | 215000 |
| 1891 | 429418 | 195418 | 234000 |
| 1901 | 683420 | 449420 | 234000 |
| 1911 | 921931 | 562931 | 359000 |

**ظاهرة الاستيطان في الجزائر مابين الفترة 1837-1911[1]**

| الفترة الزمنية | الأراضي الموزعة على المستوطنين |
|---|---|
| 1830-1850 | 42760هكتار |
| 1851-1860 | 184555هكتار |
| 1861-1870 | 73211هكتار |
| المجموع | 300526هكتار |

**انتقال الأراضي إلى المستوطنين[1]**

[1] - عبدا لله العروي: المغرب العربي، محاولة في التركيب، ترجمة ذوقان ترقوط، بيروت، 1977،ص 329. وينظر أيضا العقاد : المرجع نفسه، ص 148.

من هذه الإحصائيات نرى أن مجموع عدد المستوطنين الفرنسيين والأوروبيين الآخرين في عام 1911 قد بلغ 921931 وهذا العدد كبير مقارنة بعدد سكان الجزائر الذي كان آنذاك حوالي 4750000 ومن الأهمية بمكان أن نوضح أن وجود المستوطنين لم يكن وجودا اقتصاديا فقط بل كان له تأثير سياسي وثقافي لقد كانت العلاقة بين المستوطنين والسلطات الاستعمارية متينة فهم الركيزة الأساسية لتحقيق فكرة الإدماج بل هم الذين كانوا متحمسين لها أكثر من غيرهم لقد كانوا يمثلون بالمجالس الإقليمية وفي الإدارة ويتعاونوا مع الجيش الفرنسي بالجزائر الذي يقوم بدوره لحمايتهم. إن وجود هذه الأعداد الكبيرة من المستوطنين الفرنسيين والأوروبيون في الجزائر لمدة طويلة كان له تأثير ثقافي حيث أن وجود مجتمع أجنبي دخيل على المجتمع الجزائري لمدة قرن ونصف القرن تقريبا قد أثر بطريق مباشر أو غير مباشر في ثقافة أمتنا، خاصة إذا أخذنا بالاعتبار أن سياسة الاستعمار الثقافية الساعية إلى القضاء على الشخصية الوطنية. كان مخططا لها ومن ضمن الأهداف الاستعمارية التي سعت إليها فرنسا أيضا وطبقتها نذكر الثقل السكاني للمستوطنين في المدن وفي البوادي خاصة وأن التركيز كان على القطاع الزراعي، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الملكية العقارية في المدن قد خرجت من أيدي الجزائريين بنفس الأساليب التي مورست ضد الفلاحين في الريف وأصبح هؤلاء طبقة عاملة لدى الأوروبيين تمارس ضدها التفرقة العنصرية وتعاني من الفقر والتجويع.

[1] - المرجع نفسه، ص 329. العقاد ، المرجع السابق، ص 149.

**5- انعكاسات ظاهرة الاستيطان في الجزائر:**

**5-1 الانعكاسات الاقتصادية للاستيطان:** وهي من أخطر النتائج التي رافقت الوجود الاستعماري في الجزائر، لأنها انعكست بشكل مباشر على الجزائريين وعلى شخصيتهم ومست حياتهم العملية بالتغيير في مختلف جوانب الحياة ويمكننا استعراض تلك الآثار كالآتي:

**5-1-1 ربط الاقتصاد الجزائري بالاقتصاد الفرنسي:** إن الفرنسيين نظروا إلى الجزائر بصفتها سوقاً لترويج البضائع ومصدراً للخامات والمواد الغذائية، بالإضافة إلى كونها مكاناً لتصدير الفائض السكاني الفرنسي للتخفيف من حدة الأزمات التي كانت تعصف بالاقتصاد الفرنسي. وكان اغتصاب الأرض هو الأسلوب الذي حقق به الاستعمار تبعية الجزائر لفرنسا، وبحلول سنة 1917 كان المستوطنون قد استولوا على 55% من مجموع الأراضي المسجلة في الجزائر معظمها بأيدي 10 آلاف من المعمرين مقابل الملايين من الشعب الجزائري. كما أن فرنسا لم توفر أدنى ضروريات العيش الكريم للجزائريين وإنما كانت تهدف إلى التجارة والربح ولو على معانات ومآسي الشعب الذي تحول في معظمه إلى خماس[1] ومن الأمثلة على ذلك تحويل مساحات واسعة من الزراعات المعاشية إلى زراعة الكروم بهدف صناعة الخمور[2]، وإذا كان استيراد البضائع الفرنسية قد دمر الصناعة الجزائرية فإن تصدير الخامات والغذاء أخضع عمليات إنتاجها أي الزراعة والتعدين للهيمنة الاستعمارية بالاستيلاء على الأراضي، وأدت السياسة التي انتهجها "المدنيون" الفرنسيون والرامية إلى الاستيلاء على الأراضي إلى تدمير الاقتصاد الفلاحي، ولقمع القبائل المتمردة دمر المعمرون الينابيع وحولوا الواحات المزدهرة إلى صحاري، واستولوا على أحسن المراعي، وأبعدوا الرحل إلى الأراضي

[1]- الخماس : هو الفلاح الذي يأخذ خمس إنتاج الأرض التي كان يقوم بزراعتها وكان هذا عرفا سائدا في معظم البلاد العربية في العهد الاستعماري والإقطاعي. صالح عباد : الجزائر بين المستوطنين وفرنسا 1830-1930، د م ج ، قسنطينة ، 1984، ص ص 11. 15.

[2]- عدة بن داهة، مرجع سابق. ص146.

القاحلة وإلى المناطق الداخلية من البلاد ذات المناخ القاسي، ولم يستطع المبعدون العثور على العشب لإطعام قطعانهم التي هلكت من شدة الجوع والعطش، ومن الصيف القائظ والشتاء القارص[1]. وقد استولت الاحتكارات الفرنسية على مناجم الحديد والفوسفات، وتأسست بضعة بنوك في الجزائر مرتبطة بالبنوك في فرنسا، ومدت الخطوط الحديدية لتشجيع التجارة ولخدمة الأغراض العسكرية، وقبل عام 1885 زاد مجموع السكك الحديدية في الجزائر عن 2000 كيلومتر، وكانت التجارة مرتبطة بفرنسا تصديراً للخامات واستيراداً للبضائع[2]، وفشلت بذلك إمكانية تأسيس صناعة تحويلية جزائرية، وكان العمال الأوروبيون منفصلين عن العمال الجزائريين ويتمتعون بوضع أفضل منهم بكثير، إذ كانت أجورهم أعلى وأعمالهم أسهل وأنظف ويتمتعون بحقوق لم تكن للعمال الجزائريين. وعن دوافع الاستعمار جاء في نفس لكتاب:" إن إنكار الدوافع الاقتصادية لعملية الاستعمار كالادعاء بإفادة الضحايا من عملية الاسترقاق ووجوب تقديمهم الشكر لمن أجرم بحقهم، وكلها ادعاءات من جنس تبرئة الذات"، ولا بأس بالاطلاع على بعض ما قاله مؤرخون بل مسؤولون في الدول الاستعمارية.

يقول الرئيس الفرنسي السابق شارل ديغول[3]: "عندما احتللنا الجزائر، مثل بقية المستعمرات الأخرى، كانت لدينا النية في استغلال المواد الأولية التي كانت تغفو حتى ذلك الوقت، وتجفيف المستنقعات وزراعتها، وزراعة الهضاب القاحلة، وكنا نستطيع أن نأمل في فائض كبير عن نفقة الاحتلال، في ذلك الزمن، كان السعي إلى الغنيمة مقنّعاً بإعلان عن دور يقدمونه لنا كواجب نبيل، إذ كنا نحمل الحضارة، لكن منذ الحرب العالمية الأولى والثانية بالخصوص، تفاقمت تكاليف الإدارة، وازدادت

[1] - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية ، الجزائر، 1975، ص ص 90،91.

[2] - المرجع نفسه، ص91.

[1] - شارل ديغول: ( Charles de Gaulle1890-1970): قائد فرنسي ورجل دولة كبير دعى إلى مقاومة الألمان بعد هزيمة 1940 في نداء مشهور أطلقه من لندن. ترأس الحكومة المؤقتة 1944-1946 رئيس الجمهورية الخامسة 1959-1969 له "مذكرات" . المنجد: مرجع سابق، ص 254.

مطالب الأهالي من أجل تقدمهم الاجتماعي، وهو أمر طبيعي تماماً، ولم تعد الفائدة تعوض التكاليف، والمهمة التحضيرية التي لم تكن في البداية إلا ذريعة، أضحت المسوغ الوحيد لمواصلة الاستعمار، لكن بما أنه يؤدي إلى كل هذه التكاليف، لِمَ الإبقاء عليه؟ إذا كانت غالبية السكان لا تريده ، والرسالة واضحة: استعمرنا عندما كان الاستعمار مفيداً، فلما أصبح باهظ النفقات علينا التخلي عنه.

ويقول منظر الحركة الاستعمارية جول فيري أحد أنصار الاستعمار المباشر[1] والذي وصل إلى الحكم وخطط للتوسع وإيجاد إمبراطورية فرنسية إن دوافع الاستعمار هي الحصول على المواد الأولية الرخيصة من عمل الأهالي، لاسيما في إفريقيا، والتمتع بأسواق لضمان تسويق المنتجات الصناعية، وبخاصة في آسيا، ولخص فلسفة الاستعمار بقوله:" الاستعمار ضرورة اقتصادية وعسكرية ومعنوية: فرنسا بحاجة إلى المستعمرات في الوقت الذي ترفع (أي تزيد) فيه الدول الأوروبية الحواجز الجمركية وتحتكر أسواقها وتبحث عن أسواق جديدة، فنحن بحاجة إلى الأسواق العالمية، وأسطولنا بحاجة إلى القواعد البحرية حتى يتمون بالفحم، وفرنسا كدولة عظمى بحاجة إلى سياسة الهيبة والعظمة، فهي بحاجة إلى الاهتمام بأمور العالم والمشاركة فيها، ولا يجوز لدولة عظمى أن تستقيل وتهمل المواضيع العالمية، فإذا شاءت أن تظل دولة عظمى عليها أن تشارك في رسم مصير أوروبا والعالم، عليها أن تنشر في كل مكان لغتها وعبقريتها وسلاحها وأن ترفع علمها"[2]، وينقل عنه ربطه بين المصلحة والمهمة الحضارية إذ يقوم الاستعمار بإيجاد الأسواق وأداء الحقوق تجاه الأجناس الدنيا في نفس الوقت، وفي إيجاز لطبيعة الاستعمار يقول: "السياسة الاستعمارية وليدة السياسة الصناعية"[3]، ويلاحظ أن هذه الاعترافات من فرنسا التي أخفت دوافعها الاقتصادية وأبرزت الدوافع الثقافية

[1] - سعدالله : الحركة الوطنية ج 2، مرجع سابق، ص 24.

[2] - زوزو: تاريخ الاستعمار، مرجع سابق، ص 70.

[3] -المرجع نفسه، ص71.

أكثر من غيرها، فكل مشروع استعماري هو درجة فائدته ومجموع العائدات والمكاسب التي يجب أن يدرها على الوطن.

**2-1-5 تغريم السكان**: الهدف من وراء هذا الأسلوب العقابي وضع حد للمقاومات الشعبية التي بدأت تهدد الوجود الفرنسي في الجزائر وسلكت إدارة الاحتلال في تطبيق هذا الأسلوب، نوعين من التغريم، الجماعي والفردي لكن الشائع كان الأول لما له من آثار مدمرة على من تقع عليه العقوبة من قبائل و أعراش[1]. بدأت السلطات الفرنسية بالعمل به من السنوات الأولى للاحتلال بعد أن أقره قرار بيجو الصادر في جانفي 1844م و الذي وضع الأسس التنظيمية لهذا النوع من التغريم، أما أقسى الغرامات فقد كانت إثر مقاومة المقراني عام 1871 فقد فرضت السلطات الفرنسية من خلال اللجان التأديبية التي أقامتها غرامة مالية تقدر ب 100 فرنك على كل بندقية متفجرة، مما جعل القيمة التي أخذت من 928 مجموعة ريفية تصل إلى 36582298 فرنك، اقتطع منها 900000 فرنك كتعويض عن الأضرار التي ألحقتها ثورة المقراني بالمستوطنين، و أنفق منها 150000فرنك على المجهود الحربي، و حول منها 7933820 فرنك للأنفاق على الأشغال العامة، كما خصص منها مبلغ 6000000 فرنك كإعانة لمهاجري الألزاس واللورين الذين قدموا للمنطقة للاستقرار فيها. وبإيجاز فإن الثورة كلفت الجزائريين مبلغ 63212252 فرنك أي حوالي 70.4 من رأس مال الثائرين وذهب هذا المبلغ كله لصالح الاستيطان وإصلاح ما تخرب من الحرب كالكمائن والمدارس والثكنات[2]. و نكتفي بسرد هذه الأمثلة من نماذج التغريم الفرنسي العقابي المطبق على الجزائريين. وهو أن هذا الرادع العقابي لم يكن فقط موجها لإخماد الثورات ومعاقبة المتسببين فيها [3]. وإنما كان أسلوب انتهجته الإدارة الفرنسية وأعوانها في تعاملها اليومي مع الأهالي فأي

[1]- مصطفى الأشرف : الأمة والمجتمع ، ترحنفي بن عيسى ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1983.

[2] - العقاد: مرجع سابق، ص135.

[3]- فرحات عباس: ليل الاستعمار ، دار القصبة للنشر والتوزيع، حيدرة الجزائر2005، ص 45.

سلوك يبدر من الجزائريين تجاه الفرنسيين تسارع السلطات بفرض الغرامة عليهم والأمر الثاني والذي يفضح ادعاءات الفرنسيين هو أن كافة القوانين الفرنسية التي مرت على الجزائريين لا تخلوا من بنود وفقرات ومواد قانونية ذات طابع زجري وقمعي تحتل فيها المغرمة الحيز الكبير[1].

**2-5 الانعكاسات الاجتماعية للاستيطان:**

إن الاستيطان الفرنسي في الجزائر لم يكن من الممكن أن يتحقق إلا على حساب السكان الأصليين، وكان من المتوقع أن توفر إفريقيا الشمالية موئلاً لعشرين مليون فرنسي بعد قرن من بداية الاحتلال، ولكن الجزائر لم توفر الظروف المواتية التي توفرت في كندا وأستراليا، أما جمهور المسلمين فيها فلم يتطور تطوراً يستحق الذكر، ولم يستفد كثيراً من مؤسسات الحماية والتربية، ولم يفتتح أول مستشفى إلا بعد أكثر من ستين عاماً، وقد فتكت الأمراض بأعداد كبيرة من الأهالي لاسيما الأمراض التي زادت بدخول الفرنسيين كالتدرن الرئوي والسفلس[2]، وقضى المحتلون على المؤسسات التعليمية التي كانت تزود الناس بالتعليم الديني ولم تعط تجارب المدارس العربية التي أنشأها الفرنسيون نتائج مشجعة، وأدت التغيرات التقنية إلى القضاء على النشاطات القديمة ولم تتحسن أحوال المتخلفين، وأدى تغير التيارات التجارية القديمة إلى خسارة الجزائريين بفعل التيارات والأسواق الجديدة التي أدت إلى الهجرات التي فككت عرى الروابط العائلية[3]، ومع تعود قسم من السكان على الأساليب الجديدة في الرعي والزراعة، فقد ظل السواد الأعظم يعيش "عيشة رزية"، وضحت البلاد بزراعة الحبوب والمواشي التي تقوم عليها مطالب الحياة والاكتفاء مع كون هذين القطاعين حيويين جداً للأهالي واتجهت نحو زراعة العنب لأجل خمور فرنسا[4].

---

[1]- Djillali sari, la dépossession des fellahs :sned,Alger,1975,p39.

[2]- العروي : المغرب العربي ،مرجع سابق ،ص ص 353-355.

[3]- العقاد: مرجع سابق، ص 171.

[4]- المرجع نفسه، ص 148.

**1-2-5 التعدي على حرمات المساجد ودور العبادة:**

إذا كانت جرائم الاستعمار سياسة قانونية في ظاهرها، فإنها قضية اجتماعية وثقافية في الأساس، ذلك انعكاساتها لا يمكن أن تكون إلا اجتماعية بالدرجة الأولى لأنها تمس الإنسان في ذاته وثقافته ومحيطه. والاستعمار مهما كان نوعه يعرف إن الإنسان هو جوهر الحياة ومحورها والفاعل فيها، لذا يجب أن يتعرض الشعب المستعمر لقدر كاف من المضايقات والاضطهاد، ليتخلى عن حقه في العزة والدافع عن وجوده ككائن حر في وطنه وبين ذويه وأبناء جلدته. الاعتداء على المساجد والزوايا ودور العبادة ومصادرة الأوقاف الإسلامية [1]. برغم من أن اتفاقية استسلام الجزائر العاصمة كانت تدعو إلى احترام الحرية الدينية للأهالي[2]. إن وحشية الاستعمار الفرنسي لم تقتصر على تدمير المساجد أو تحويلها إلى كنائس. بل قامت بقتل المصلين المعتصمين بها ومثال ذلك قتل أربعة آلاف مسلم عزل معتصم في مسجد كتشاوة قبل تحويله إلى كنيسة. وسجن المعتقلين السياسيين حل حزب الشعب بهدف التعاون مع ألمانيا إلقاء القبض على مصالي الحاج بعد مذبحة 8 مايو التي ارتكبها الفرنسيين في الجزائر عام 1945م تلتها مذابح وأهوال؛ ففي شهر يوليو سنة 1948م أحرق الجند الفرنسيين ورجال البوليس القرى وأتلفوا المؤن والأرزاق، وهاجم رجال الدرك عام 1949م قرية "سيدي علي بوناب" بدعوى التفتيش عن رجل هارب من التجنيد[3].

**2-2-5 التعدي على الهوية الوطنية:**

كانت الألقاب الجزائرية قبل الاستعمار الفرنسي ثلاثية التركيب (الابن والأب والجد)، وفي حالات أخرى خماسية التركيب، بحيث تضاف لها المهنة والمنطقة. أصدرت

---

[1]- جمال قنان: التعليم الاهلي في الجزائر في عهد الاستعمار : 1830/1944،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ط خاصة، وزارة المجاهدين، 2007،ص 13.

[2]- أنظر بيان الحملة الفرنسية على الجزائر الموجه من لدن قادة الحملة إلى الجزائريين للتغرير بهم ولإيهامهم بان نوايا الحملة طيبة.

[3]- تركي رابح: مرجع سابق، ص ص83،86.

الإدارة الاستعمارية الفرنسية في 23مارس1882 قانون الحالة المدنية أو قانون الألقاب الذي ينص على استبدال ألقاب الجزائريين الثلاثية وتعويضها بألقاب لا ترتبط بالنسب[1]. وسبق صدور هذا القانون محاولات متواصلة لطمس الهوية الجزائرية، أهم ملامحها إجبار الأهالي- وهو التعبير الشائع لتوصيف الجزائريين- على تسجيل المواليد الجدد وعقود الزواج لدى مصلحة الحالة المدنية الفرنسية، بعدما كانوا يقصدون القاضي الشرعي أو شيخ الجماعة، "على القاضي المسلم أن يختفي فالغزاة هم نحن، فهل لنا أن نتعلم كيف نجرأ"[2].

والغاية من استبدال ألقاب الجزائريين الثلاثية وتعويضها بألقاب لا ترتبط بالنسب هو تفكيك نظام القبيلة لتسهيل الاستيلاء على الأراضي، وإبراز الفرد كعنصر معزول، وتغيير أساس الملكية إلى الأساس الفردي بدلا من أساس القبيلة، وطمس الهوية العربية والإسلامية من خلال تغيير الأسماء ذات الدلالة الدينية وتعويضها بهوية هجينة، وإحلال الفرد في المعاملات الإدارية والوثائق مكان الجماعة، وأخيرا تطبيق النمط الفرنسي الذي يخاطب الشخص بلقبه وليس باسمه[3].

وبموجب هذا القانون لم تكتف السلطات الاستعمارية بتغيير أسماء وألقاب الجزائريين بصفة عشوائية بل عوضت العديد منها بأسماء مشينة ونابية وبعضها نسبة لأعضاء الجسم والعاهات الجسدية، وألقابا أخرى نسبة للألوان وللفصول ولأدوات الفلاحة وللحشرات وللملابس وللحيوانات ولأدوات الطهي. ولم يكن هناك أي منطق في إطلاق الألقاب على الأشخاص، وكل ما هنالك هو رغبة في تحطيم معنويات الجزائريين، من خلال منح الفرصة لترديد أسمائهم مشينة طول الوقت وعلى مرّ الأزمان[4]. وما يزال

[1]-Djillali sari, op cit p ,35.

[2]- زوزو : تاريخ الاستعمار، ص 73.

[3]-Djillali sari, op cit,p , 147.
[4]-Ibid , p36.

الأبناء والأحفاد يتوارثون هذه الأسماء منذ عام 1882وهي أسماء لم يختاروها هم ولا آباؤهم، وإنما أجبروا على حملها حتى اليوم.

ومن الأمثلة الحية على الألقاب المشينة التي تحملها عائلات جزائرية اليوم ويتم تداولها في كل المحررات والوثائق الرسمية لقب "حمار"، "بوذيل"، "خاين النار"، "مجنون"، " بوبغلة" ، "بومعزة"، "كنّاس" ولقب "بومنجل". كما يذكر التاريخ قصة الجزائري "الحاج البخاري بن أحمد بن غانم" وله أربعة أولاد: محمد وعبد القادر وأحمد والحبيب، فقد خسر هذا الشخص أرضه بعد رحيله إلى سوريا، وبعدما قامت الإدارة بتغيير ألقاب أولاده حيث أصبحوا "محمد عسّال، وعبد القادر بوشمة، وأحمد البحري، والحبيب ندّاه.

ويمكن إيجاز الحالة الاجتماعية للجزائريين كنتيجة لتلك المظالم: النقص الكبير في عدد سكان الجزائر لا شك أن هذه الظاهرة ارتبطت بأسباب متعددة أبرزها استشهاد الآلاف من الجزائريين في المقاومات الشعبية بالإضافة إلى الأعداد الهائلة التي ذهبت ضحية الأوبئة والمجاعات التي كانت مجاعة 1869 أكبرها حيث فقد 300 ألف جزائري إضافة إلى الهجرة نحو الخارج وبالذات فرنسا التي بلغت سنة 1923 – 92000مهاجر من القوة المنتجة وبذلك حرمت الأمة من قدرة عمالية هائلة [1]. كما تدهورت الأوضاع الاقتصادية للجزائريين كنتيجة لقوانين المصادرة والتمليك والتجويع و بسبب سياسة التغريم .

من بين التشريعات التي أصدرتها فرنسا في إطار المصادرة والتمليك قرار 21سبتمبر 1830 الذي يسمح بمصادرة أراضي الوقف والبايلك[2] الإضافة إلى مصادرة السلطات الفرنسية لآلاف الهكتارات من أراضي القبائل والجماعات التي ساهمت في تلك المقاومات، هذا إلى جانب سياسة الأرض المحروقة[3] التي قضت على قوت الناس

[1] - عبد القادر جغلول : تاريخ الجزائر الحديث دراسة سوسيولوجية ، ترجمة فيصل عباس، بيروت، 1981. ص 150.

[2]-Djillalisari, op cit, p.09.

[3] - تركي، مرجع سابق، ص 84.

وأحرقت الكثير من القرى والمداشر الأمر الذي زاد في محنة الأمة وتشردها فأصبحت عوامل الطرد في وطني أكبر من عوامل الجذب. وفي مقابل نزوح الجزائريين والخروج من الوطن استقبلت الجزائر موجات بشرية قادمة من وراء البحر فعرفت الجزائر فئة دخيلة أساءت لهذا الوطن حيث شاعت الرذيلة والتفسخ الأخلاقي وظاهرة شرب الخمر من أكبر تلك الموبيقات التي تأثر بها حتى الجزائريين نتيجة احتكاكهم بتلك الفئة التي جلبت معها لهذا الوطن كل الشرور كما مكنتها إدارة الاستعمار بالاستئثار بمقدرات وخيرات الأمة فخلقت نوع من الطبقية وأصبحت العلاقة بين العنصر الوافد والعنصر المحلي هي علاقة السيد والعبد. وبذلك عانت الأمة من كابوس البطالة وتعرضت الأسر والعائلات الكبيرة إلى التشرذم والانقسام إنها إرادة القوي الظالم على الضعيف المقهور.

**3-5 الانعكاسات الثقافية للاستيطان:**

**1-3-5 الاعتداء على الحقوق اللغوية والتعليمية:**

أصدر الحاكم العام الفرنسي للجزائر في 24 ديسمبر 1904م قرارا ينص على عدم السماح لأي معلم جزائري أن يفتح مدرسة لتعليم العربية دون الحصول على رخصة من السلطة العسكرية بشروط، وفي 5 محرم 1357 هـ/ 08 مارس 1938م: أصدر رئيس وزراء فرنسا آنذاك كاميشوطونCamille Chautemps قرارا نص على حظر استعمال اللغة العربية واعتبارها لغة أجنبية في الجزائر[1]. ويأتي هذا القانون في سلسلة قوانين سنَّها الاحتلال الفرنسي لمحاربة اللغة العربية وحتى الأمازيغية، وجعل اللغة الوحيدة للبلاد هي اللغة الفرنسية. وكان لهذه القوانين الأثر الشديد في المجتمع الجزائري. وتحويل لغة الإدارة والحكم إلى اللغة الفرنسية. فقد مُنع أساتذة الجمعية من التدريس حيث نص القرار على "إغلاق المدارس العربية الحرة التي لا تملك رخصة

[1] - كان في منظور الفرنسيون أن أحسن وسيلة لتغيير الشعوب البدائية في مستعمراتنا وجعلها أكثر ولاء وإخلاصا في خدمتنا لمشاريعنا، هو أن نقم بتنشئة أبناء الأهالي منذ الطفولة وذلك ليتأثروا بعاداتنا وتقاليدنا... للمزيد انظر احمد طالب الإبراهيمي : من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية ، ترجمة عيسى حنفي ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ص 16 .

العمل، ومنع كل معلم تابع للجمعية من مزاولة التعليم في المدارس المرخصة إلا بعد أن يتحصل على رخصة تعليم تقدمها له السلطات المعنية"[1]، لكن السلطات الفرنسية أمتنعت عن إصدار الرُخص رغم الطلبات العديدة التي قُدمت[2].

لم يتجاوب الشعب الجزائري مع السياسة الفرنسية في جميع الجهات بدون استثناء، لاسيما في المناطق التي عرفت ضغطا فرنسيا مكثفا لتحويل اتجاهها الوطني، فلم يكن للإعانات ولا المساعدات التي تقدمها الإرساليات التبشيرية ولا للتعليم الذي وفرته المدرسة الفرنسية ولا للمستوطنين الفرنسيين ولا للمهاجرين الجزائريين الذين تنقلهم السلطات للعمل في فرنسا، أثر في فرنسة الشعب الجزائري المسلم، ما دفع مخططي السياسة الفرنسية إلى اتهام الجزائريين بأنهم شعب يعيش على هامش التاريخ.
حاول المستعمر الفرنسي تشديد الخناق واضطهاد الثقافة الوطنية ومحاربتها بكل الوسائل الممكنة وخاصة أنها تعتمد على اللّغة العربية أداة للتعبير والتفكير، فأزمع على طمس معالمها وتدثير بنيتها، والتشكيك في كفاءتها، والتزهيد في تعلمها بفتح الوظائف لمن يتقنون الفرنسية وحدها. "التضييق عليهم حيث ثقفوا، وإزعاجهم حيث وجدوا.

ولا يزال المستعمر الفرنسي ينظر ويبصر، ويفكر ويقدر، حتى سنّ قانونا لئيما صدر في ثامن مارس من سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وألف ينص على أنه لا يجوز تعليم اللغة العربية ولعله من المسلمات نقول ان الاستعمار الفرنسي قد مارس واحد من أبشع أنواع الاضطهاد والاحتلال في العصر الحديث "[3]، وكان طبيعيا أن ينجر عن ذلك جرائم مختلفة، أخطرها في المنظور البعيد هو الجرائم الثقافية والفكرية بوصفها المعبر عن هوية المجتمع وقيمه وتراثه وكل مخزونه المعنوي. والاضطهاد في منظور القانون الدولي هو "حرمان مجموعة محددة من السكان أو المجموع السكان حرمانا متعمدا وشديدا

[1] - أبو القاسم سعدا لله: تاريخ الجزائر الثقافي ج 5، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع 1996، ص208.
[2] - تركي: المرجع السابق، ص85.
[3] - بداوي محمد: جوانب من السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر1830/1870:أعمال الملتقى الوطني الأول جامعة خميس مليانة ، الجزائر 24 ابريل 2018، ص380.

من الحقوق الأساسية بما في ذلك حقهم في التعليم، ومثل هذا الإجراء في المرحلة الأولى من الاحتلال يراد منه مراقبة التعليم الوطني والتضييق على منابع التعليم العربي الإسلامي وهي خطوة أولى ممنهجة لضرب اللغة العربية وطمسها نهائيا، وخطوة لإبعاد المسلمين عن قرانهم وبداية لردم الديانة الإسلامية واستبدالها بالديانة المسيحية وقد أشار لافيجري صراحة إلى هذه السياسة بقوله: " علينا أن نخلص هذا الشعب ونحرره من قرانه، وعلينا أن نعتني بالأطفال لننشئهم على مبادئ غير التي شب عليها أجدادهم . فان واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر "[1]. وبذلك وجهت فرنسا ضربة قاصمة للمنظومة التعليمية للجزائريين مباشرة بعد الغزو فلم تكتفي فقط بتجفيف منابع الدعم للحركة التعليمية بل أثقلت كاهل الجزائريين بالغرامات والتجويع وطاردت مشايخ التعليم ونفتهم ومنعتهم من مصادر الرزق فلم يعد أحدا يفكر في التعليم وأصيب العقل الجزائري بشبه شلل لكنه شلل مؤقت سينبعث هذا العقل من جديد بقدوم الجمعية وعلمائها.

**2-3-5 الاستشراف والتخريب الثقافي:**

وبما أن الشأن الثقافي من الاختصاص الأكاديميين غالبا، فان الاستعمار الفرنسي لم يذخر جهد في الاستعانة بالمستشرقين الفرنسيين في تحقيق غاياته في البلدان التي يحتلها، خاصة في الجزائر التي عدت على الدوام بقعة جغرافية استراتيجية بالنسبة لفرنسا، ولقد كان لهذه الفئة من العلماء والدارسين الدور الأكبر في نجاح اغلب الحملات الغربية على العالم العربي والإسلامي منذ الحروب الصليبية على الشرق، وربما قبل ذلك أيضا. ولطالما غطى الاستشراق الفرنسي على الاحتلال العسكري وما أنجز عنه من مساس بادعاء زائف مفاده أن فرنسا تهدف إلى نشر رسالة حضارية في

[1]- صالح خرفي : المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث ،ش و ن ت الجزائر، د ط ،1983، ص 54.

الوسط الجزائري[1] ، وتعليمه اللغة الفرنسية ليكون أقرب إلى منابع الحضارة الغربية، متناسيا انه، لا توجد ولا يمكن أن توجد حضارة عالمية بالمعنى الدقيق للكلمة، لان الحضارة تفترض تواجد ثقافات متنوعة للغاية، بل هي تتمثل في هذا التواجد نفسه ولا يمكن للحضارة العالمية أن تكون إلا تحالفا، على الصعيد العالمي، بين ثقافات تحافظ كل واحدة منها على طابعها الخاص.

**3-3-5 مبدأ إفريقيا اللاتينية :**

لم تكن المناداة ب"إفريقيا اللاتينية " سوى وسيلة لتبرير الاحتلال الفرنسي للجزائر، ومنه إلى الطمس الهوية القومية لهذا الشعب الجزائري. وقد حركت فرنسا هذا الوتر ظنا منها أنها ستخدع الجزائريين وتوهمهم أن أصولهم رومانية لاتينية، وعليه فان فرنسا وريثة الإمبراطورية القديمة هي حاضنتهم الطبيعية ولقد كانت منطقة القبائل الكبرى هي المستهدفة بالدرجة الأولى بهذا الشعار، لان سكانها يتميزون في اللغة والثقافة عن العرب، إنها استغلت شعورهم بأنهم أضحوا أقلية في المنطقة، فأخذت تدعوهم إلى الحماية الفرنسية، والاندماج في الوطن الفرنسي كبديل عن الاحتلال العربي الإسلامي لبلادهم. هذا التسلسل عبر مسالة الهوية والانتماء كان واضحا أن الهدف منه هو استمالة الجزائريين الاستبدال الحماية العثمانية بالاحتلال الفرنسي، خاصة بعد أن أصبحت الخلافة العثمانية ضعيفة وغير قادرة على الدفاع عن مناطق نفوذها الشاسعة.

وانطلاقا من هذا المبدأ ظهر شعار الجزائر فرنسية الذي حاول الاحتلال تسويقه إلى العالم، واقتناعه به. وترتيب عنه حركة استيطانية واسعة، وبناء المدرس الفرنسية في أطوارها المختلفة لتكوين الأداة الفعالية في تغيير الطابع العمراني والثقافي للشعب الجزائري. وقد ترتب عن ذلك ازدواجية لغوية تجمع اللغة الفرنسية

[1] - سميرة ناصري: السياسة الاستعمارية اتجاه التعليم في الجزائر نهاية القرن 19وبداية القرن 20 مجلة حوليات التاريخ (الجزائر )، ع/7 2013، ص 67.

قوية وأخرى عربية ضعيفة بفعل التضييق على الناس في استعمالها وتشجيع اللغة العامية كلغة منافسة وواسعة الانتشار، مما أدى في النهاية إلى" ازدواج شعبي " وليس لغويا فقط، كان من أثاره أن"خلق في مجتمعنا تمزقا في الثقافة والتفكير والأخلاق وفي الحياة الاجتماعية نفسها " على حد القول عبد الله شريط. تلك الحالة التي أجبرت الجزائريين بعد الاستقلال إلى طرح مسالة الهوية كنتيجة طبيعية لذلك التمزق الاجتماعي والثقافي الذي أحدثه الاحتلال [1].

**4-3-5 نشر اللغة الفرنسية:**

لاشك أن فرنسا كانت في بداية عهدها في الجزائر تسعى إلى نشر اللغة الفرنسية كبديل اللغة العربية الواسعة الانتشار في بلاد، فبقاء اللغة العربية لا يمكنه ألا يثبت شرائح المجتمع المختلفة على مطالبة بجلاء المحتل، أو محاربته حتى يغادر، خاصة إنها لغة القرآن الذي يشكل الجهاد ضد الظالمين أساسا مهما في تعليمه السمحة لكن فرنسة المجتمع الجزائري أيضا طرح فيه خطر على فرنسا، لان خلق مجتمع متعلم أو مثقف في البلاد لا يضمن أن يكون مواليا لفرنسا، لهذا تفطن بعض المفكرين الفرنسيين الى ذلك، مارسوا نوعا من التمييز حتى في التعليم الفرنسية لأبناء الشعب الجزائري، إن من منطلقات عنصرية، أو من منطلق الخوف من المستقبل [2].

كانت أوضاع الجزائريين الاقتصادية السيئة، بالإضافة إلى إهمال الفرنسيين المتعمد لتعليم وتثقيف الأجيال الجزائرية انعكاسا وسببا لتفشي الأمية بين الصفوف الجزائريين، وخاصة بعدما أغلقت المؤسسات التعليمية العربية، وحرم الجزائريون من متابعة تعليمهم في المدرسة الفرنسية، ولما سمح لهم في مطلع القرن العشرين بدخولها كان ذلك بنسبة ضئيلة وقد خلف هذا التجاهل التعليمي للإنسان الجزائري، مليوني

[1]- تركي رابح، مرجع سابق ، ص ص 90- 91.

[2]-العقاد، مرجع سابق، ص ص 153، 157.

طفل جزائري لم يستطيعوا ان يجدوا مدارس تتعداهم في عام 1954[1]. ضف إلى ذلك التمييز العنصري، والاضطهاد غير الأخلاقي الذي تعرض له الجزائريون، حتى أولئك الذين صدقوه في بداية الأمر عن حسن نية، وأرسلوا أبناءهم إلى المدارس الفرنسية. ولعل الكاتب الفرنسي أوغست برنارد كان أوضح عندما أبان عن الهدف الحقيقي للاستعمار الفرنسي في الجزائر إذ يقول "أننا لم نحضر إلى الجزائر لإقرار الأمن، بل لنشر الحضارة واللغة والأفكار الفرنسية.. وليست الجزائر مستعمرة كالهند الصينية .. ولكنها جزء من فرنسا كما كانت أيام روما.. إننا نريد أن نجعل هناك جنسا يندمج فينا عن طريق اللغة والعادات... وسيتم هذا بعد نشر لغة فيكتور هوغو "هذا القول وغيره – في الواقع- يكشف عن حقيقة السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر كشفا واضحا، وهي تغيير معالم الثقافة الجزائرية من خلال محاربة مقومات الشخصية المحلة، بأبعادها المختلفة [2].

**5-3-5 محاولة محو الشخصيات الوطنية والتراث القومي:**

خطط الاستعمار الفرنسي لمحو الشخصيات الجزائرية وطمس تراثها الوطني بإتباع الأساليب التالية: محاربة الثقافة العربية وذلك بتجميد استعمال اللغة الوطنية. ولم يصن تلك الثقافة من الضياع غير المساجد والزوايا، والمؤسسات الدينية التعليمية التي ظهرت فيما بعد، تشويه التاريخ الوطني ومحاولة غرس التاريخ الفرنسي في ذهن الأجيال الجديدة محاولة اقتلاع الجزائر من واقع الانتماء العربي الإسلامي عن طريق منح الجنسية الفرنسية للجزائريين .

**خاتمة:**

حاولت فرنسا تطبيق ما حدث مع الهنود الحمر في الجزائر لذلك طبقت خطة من شقين الأول يتمثل في إبادة الجزائريين بالقتل والمجازر الجماعية وسياسة الأرض

[1]- المرجع نفسه ،ص ص 153، 157.

[2]- المرجع نفسه، ص159.

المحروقة وتحويل الزراعة المعاشية إلى زراعة نقدية فراح الآلاف نتيجة المجاعات وتناقص عدد السكان من 3 مليون نسمة سنة 1830 إلى 2.4 مليون سنة 1896 والشق الثاني يتمثل في تشجيع الاستيطان الأوربي في الجزائر وذلك بمنح الأراضي الخصبة للمعمرين الأوربيين الذين تهافتوا على الجزائر تهافت الجياع على القصاع بتعبير فرحات عباس[1]. ليرتفع عددهم من بضعة آلاف إلى 800 ألف مستوطن سنة 1949، وقد عبر عن ذلك الجنرال كلوزيل -أحد قادة الاستعمار- بقوله مخاطبا المستوطنين سنة 1835 " لكم أن تنشئوا من المزارع ما تشاءون وكونوا على يقين بأننا سنحميكم بكل ما نملك من قوة، وبالصبر والمثابرة سوف يعيش هنا شعب جديد وسوف يكبر ويزيد بأسرع مما كبر وزاد الشعب الذي عبر المحيط الأطلسي واستقر في أمريكا منذ بضع قرون... لكن بسالة وبطولة الشعب الجزائري منعت تكرار ما حدث في العالم الجديد فقد قاوم الاحتلال بكل ما أوتي من قوة.

**قائمة البيبلوغرافية:**

- عبد الحميد زوزو، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، د م ج، الجزائر ، 1997.
_أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، 1900/1930، ش و ن ت، الجزائر، ط3.
_ أبو القاسم سعدا لله: تاريخ الجزائر الثقافي ج 5، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع 1996.
_الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام ، ج3، ط1، د. م. ج. الجزائر 1982 .
_بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1962/1830، ج1، وزارة المجاهدين الذكرى 45 للاستقلال، 2008.
_المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت ، لبنان،ط30، 1988.
_جيلالي صاري، إبادة قبيلة العواقبة، مجلة الثقافة، السنة 13، عدد 77، 1983.

[1]- فرحات عباس : ليل الاستعمار، دار القصبة للنشر والتوزيع، حيدرة، الجزائر، 2005. ص 66.

_أديب حرب، التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر( 1808 – 1874)، ج2، ط2 ، دار الرائد للكتاب الجزائر، ط2، 2004م.

- أندري برليان، أندري نوشي، ايف لاكست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، الجزائر ، د م ج، 1984.

-عبد اللطيف بن اشنهو، تكوين التخلف في ا لجزائر، ترجمة نخبة من الأساتذة، الجزائر 1979،

-صلاح العقاد، المغرب العربي، القاهرة، 1980.

- عبدا لله العروي: المغرب العربي، محاولة في التركيب، ترجمة ذوقان ترقوط، بيروت، 1977.

- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الجزائر، 1975.

- مصطفى الأشرف، الأمة والمجتمع ، ترحنفي بن عيسى ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983.

- فرحات عباس، ليل الاستعمار ، دار القصبة للنشر والتوزيع، حيدرة الجزائر2005.

- جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار : 1944/1830،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ط خاصة، وزارة المجاهدين، 2007.

- عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسيولوجية، ترجمة فيصل عباس، بيروت، 1981.

احمد طالب الإبراهيمي، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية، ترجمة عيسى حنفي ، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر.

-بداوي محمد، جوانب من السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر1870/1830:أعمال الملتقى الوطني الأول جامعة خميس مليانة ، الجزائر 24 ابريل 2018.

- صالح خرفي، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث ،ش و ن ت الجزائر، د ط ،1983.

- سميرة ناصري، السياسة الاستعمارية اتجاه التعليم في الجزائر نهاية القرن 19وبداية القرن 20 مجلة حوليات التاريخ (الجزائر )، ع/7 2013.

-فرحات عباس ، ليل الاستعمار، دار القصبة للنشر والتوزيع، حيدرة، الجزائر، 2005.

- Louis de Baudicour, histoire de la colonisation de l'Algérie (paris : challamel, 1860.

_- Djillali sari, la dépossession des fellahs :sned,Alger,1975